حوارات سحرة فرعون : دراسة دعوية

إعداد

د/ ماجد بن عبدالله بن إبراهيم البصيص

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة ، المعهد العالي للدعوة والاحتساب،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

حوارات سحرة فرعون: دراسة دعوية

ماجد بن عبدالله بن إبراهيم البصيص
قسم الدعوة ، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : Mab2615@gmail.com

الملخص :
استهدف البحث استخراج الفوائد الدعوية من حوارات سحرة فرعون، وتناول التعريف بسحرة فرعون، ومصيرهم بعد تهديد فرعون لهم. وبيان الفوائد الدعوية المتعلقة بالداعية من خلال حوارات سحرة فرعون. وبيان الفوائد الدعوية المتعلقة بالمَدْعُوّ من خلال حوارات سحرة فرعون. وبيان الفوائد الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة من خلال حوارات سحرة فرعون. وبيان الفوائد الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب من خلال حوارات سحرة فرعون.
وأهم نتائج البحث : أن من الفوائد الدعوية في الحوارات الواردة في قصة سحرة فرعون تمكين أصحاب الشبهات والشهوات من عرضها لمن وثق في القدرة على تفنيدها. ومزية الاستجابة للداعي إلى الله، وفضل السبق إلى الخير والمسارعة إليه. وأن يستحضر الداعية خطورة ترويج أهل الباطل لفسادهم وضلالهم، وأن يكون مستعدًّا لمواجهة هذا الفساد وذلك الضلال.
ووجوب الثبات على الدين والصبر في سبيله، وأن الثبات من أهم عوامل مواصلة الداعية لدعوته ونجاحه فيها. وأنه لا يضر المدعوّ النطق بكلمة الكفر أو نحو ذلك إذا كان مكرهًا عليها. وأهمية الوضوح في مجال الدعوة إلى الله تعالى، والبعد من الألفاظ الاحتمالية.
وأن الكبر والاستعلاء من العقبات التي تصد المدعوين عن قبول دعوة الحق. وأن الغالب على الملأ الاستعلاء ومعاداة الدعاة إلى الله والسخرية منهم ومن أتباعهم. وأهمية الأخلاق الحميدة في نجاح العمل الدعوي، وأثرها

الطيب في استجابة المدعوين. وأهمية الدعاء واللجوء إلى الله تعالى في تحقيق ثبات الداعية والمدعوين في ميدان مواجهة الباطل وأهله.
وأهمية استعمال القصص في الدعوة إلى الله تعالى لما لها من قدرة على جذب المدعوين إلى قضايا الدعوة وقوة تأثيرها في نفوسهم. وأهمية تنويع الأساليب في الدعوة إلى الله تعالى.

الكلمات المفتاحية : حوارات – سحرة – فرعون – دراسة دعوية

The Dialogues of Pharaoh's Magicians: A Propagation Study

Majid bin Abdullah bin Ibrahim Al-Busais

Da`wah Department, Higher Institute for Propagation and Accountability, Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, Riyadh- Saudi Arabia

Email: Mab2615@gmail.com

Abstract :

Dialogs of the Pharaoh's sorcerers: Dawaah studies

The research aims to extract the Dawah benefits from the dialogs of the Pharaoh's sorcerers. It defined the Pharaoh's sorcerers and their destiny after being threatened by the Pharaoh. It also indicates the Dawah benefits of the caller through the dialogs of the Pharaoh's sorcerers, the Dawah benefits of who is called through the dialogs of the Pharaoh's sorcerers, the Dawah benefits related to the Dawah topics through the dialogs of the Pharaoh's sorcerers, and the Dawah benefits related to the methods and ways through the dialogs of the Pharaoh's sorcerers.

The most important results of the research:

One of the Dawah benefits in dialogs mentioned in the story of the Pharaoh's sorcerers: to enable the people of desires and suspicions to discuss it with those who can refute it, the privilege of responding to the caller to Allah, the importance of vying with one another in accomplishing good deeds. Additionally, the caller should consider the danger of promoting the falsehood and deviation by the people of falsehood. The caller should be ready to challenge this deviation and that falsehood. It is obligatory to keep firm in the religion and striving in its cause. Standing firm in

religion is one of the factors that help the caller to continue with his Dawah and succeed in. Pronouncing the word of disbelief and the likes cannot be harmful under compulsion. It is important to be clear when one calls to Allah, the Exalted, and abstain from the probable words.

Pride and arrogance are obstacles hindering those are called from accepting the truthful Dawah. The elite are often arrogant and hostile against the callers to Allah, the Exalted, they also laughing at them and their followers. Good morals are important to make the Dawah successful and have good effects on the response of those who are called. It is important to supplicate Allah and resort to Him for the caller and those who called to stand firm in the face of falsehood and the people of falsehood.

It is important to use stories when calling to Allah, the Exalted, as it attracts the attention of those who called to the Dawah issues and its impact on them. It is important to vary methods when calling to Allah, the Exalted.

KeyWords: Dialogs, The Pharaoh's Sorcerers And Dawah Studies

المقدمة

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، والصلاة والسلام النبي المصطفى، والرسول المجتبى، ورضي الله عن جميع الآل والأصحاب، أما بعد: فإن من أهم ما يعين الداعية على نجاح دعوته تدبر القصص القرآني لاستخراج الفوائد الدعوية منه، وللتعرف على طبائع النفوس البشرية وكيفية التعامل معها، والاطلاع على طرائق التأثير فيها، وإن من القصص الزاخرة بالدروس والعبر قصة سحرة فرعون، لذا رأيت أن أكتب في حوارات هذه القصة دراسة دعوية تبرز ما فيها من فوائد دعوية للداعية والمدعوّ وموضوع الدعوة ووسائلها وأساليبها، وأبدأ بذكر المراد بالحوارات على النحو الآتي:

الحوار: المرادَّة في الكلام، ومنه التحاور.(١)

والتعريف الإجرائي لعنوان الدراسة: المرادة بين كلام السحرة وموسى –عليه السلام–، وبين السحرة وفرعون وما جاء فيها من دلائل دعوية.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

١. تأثر سحرة فرعون بموعظة نبي الله موسى –عليه السلام–، وانقلابهم من الكفر إلى الإيمان.
٢. قبول الله لتوبة سحرة فرعون مع ما كانوا عليه من الكفر والفجور والضلال.
٣. ثبات سحرة فرعون على الإيمان والدعوة إليه والصبر في سبيل ابتغاء رضوان الله.

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ٢٦٢/١، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

أهداف الدراسة:

١. التعريف بسحرة فرعون، ومصيرهم بعد تهديد فرعون لهم.
٢. بيان الفوائد الدعوية المتعلقة بالداعية من خلال حوارات سحرة فرعون.
٣. بيان الفوائد الدعوية المتعلقة بالمَدْعُوّ من خلال حوارات سحرة فرعون.
٤. بيان الفوائد الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة من خلال حوارات سحرة فرعون.
٥. بيان الفوائد الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب من خلال حوارات سحرة فرعون.

تساؤلات الدراسة:

١. من سحرة فرعون، وما مصيرهم بعد تهديد فرعون لهم؟
٢. ما الفوائد الدعوية المستنبطة من حوارات سحرة فرعون المتعلقة بالداعية؟
٣. ما الفوائد الدعوية المستنبطة من حوارات سحرة فرعون المتعلقة بالمَدْعُوّ؟
٤. ما الفوائد الدعوية المستنبطة من حوارات سحرة فرعون المتعلقة بموضوعات الدعوة؟
٥. ما الفوائد الدعوية المستنبطة من حوارات سحرة فرعون المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها؟

تقسيمات الدراسة

المقدمة: وتشتمل على أهمية الدراسة، وأسباب اختيارها، وأهداف الدراسة، وتساؤلات الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بسحرة فرعون وبيان مصيرهم بعد تهديد فرعون لهم.

المبحث الثاني: الفوائد الدعوية المتعلقة بالداعية في حوارات سحرة فرعون.

المبحث الثالث: الفوائد الدعوية المتعلقة بالمَدْعُوّ في حوارات سحرة فرعون.

المبحث الرابع: الفوائد الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة في حوارات سحرة فرعون.

المبحث الخامس: الفوائد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها في حوارات سحرة فرعون.

المبحث الأول

التعريف بسحرة فرعون وبيان مصيرهم بعد تهديد فرعون لهم

أولًا: ورود حوارات سحرة فرعون في القرآن الكريم:

لقد ورد ذكر حوارات سحرة فرعون في ثلاث سور من سور القرآن الكريم: سورة الأعراف وسورة طه، وسورة الشعراء، وفي هذه السور الثلاث يصف الله -عزَّ وجلَّ- ما دار من حوار بين سحرة فرعون وبين موسى -عليه السلام-، وبين سحرة فرعون وبين فرعون، والسور كلها مكية، فنجد أن بداية القصة في سورة الأعراف كانت من الآية المائة والثالثة عشر إلى الآية المائة والسادسة والعشرين، وسورة طه من الآية الخامسة والستين إلى الآية الثالثة والسبعين، أما الآيات الثلاثة: الرابعة والسبعين والخامسة والسبعين والسادسة والسبعين من السورة نفسها فاختلف فيها: هل هي من كلام السحرة أم من كلام الله؟ يقول الإمام ابن عطية الأندلسي: قالت فرقة: هذه الآية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تعالى لمحمد -صلى الله عليه وسلم- تنبيهًا على قبح ما فعل فرعون، وحسن ما فعل السحرة، وتحذيرًا قد ضمنت القصة المذكورة مثاله.(١) ويرى صاحب زاد المسير أن الآيات الثلاث ليست من كلام السحرة، حيث قال بعد تفسير الآية، ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾(٢)، وهذا آخر الإخبار عن السحرة.(٣) أما صاحب الفتح

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥٣/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ولم يرجح: هل الثلاث الآيات من كلام السحرة أم لا؟، وتبعه القرطبي، انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٢٢٦/١١، دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٩٦٤م، وانظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ٣١/٦، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٢) سورة طه: ٧٣.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، ١٦٨/٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

القدير فعدَّ الآيات الثلاث من كلام السحرة، حيث قال: وهذه الآية من جملة ما حكاه الله سبحانه من قول السحرة.(١) وسورة الشعراء من الآية الواحدة والأربعين إلى الآية الواحدة والخمسين، فمجموع الآيات التي ورد ذكر حوارات سحرة فرعون فيها سبع وثلاثون آية، منها ثلاث آيات مختلف فيها.

ثانيًا: مجتمع سحرة فرعون:

إن سحرة فرعون من بني إسرائيل، عاشوا في مملكة فرعون مدعي الربوبية الذي أخبر الله تعالى عنه أنه قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾(٢)، فالسحرة عاشوا في ظل الاضطهاد والتقتيل واستحلال النساء، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، فبنو إسرائيل كانوا قبل مجيء موسى -عليه السلام- مستضعفين في حكم فرعون؛ فكان يأخذ منهم الجزية، ويستعملهم في الأعمال الشاقة، ويمنعهم من الترفه والتنعم، ويقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، فلما بعث الله تعالى موسى -عليه السلام- قوي رجاؤهم في زوال تلك المضار والمتاعب.(٣) فامتهنوا السحر إكراهًا وإجبارًا من فرعون، قال الله -عزَّ وجلَّ- إخبارًا بذلك: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾(٤). وقد كان فرعون جبارًا عنيدًا مسرفًا في التمرد والعتو، وكانت له سطوة ومهابة، تخاف رعيته منه خوفًا شديدًا.(٥) فعن ابن عباس: أخذ فرعون أربعين غلامًا من بني إسرائيل

(١) فتح القدير، الشوكاني، ٤٤٥/٣، دار الكلم طيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.
(٢) سورة القصص: ٣٨.
(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٤٢/١٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.
(٤) سورة طه: ٧٣.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي محمد سلامة، ٢٨٧/٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٩٩٩م.

فأمر أن يعلموا السحر، فهم من الذين آمنوا بموسى.[١] فالمجتمع الفرعوني لا يستطيع أن يختار ديناً يدين به غير دين فرعون. قال الله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾[٢]، ولذا أمر الله نبيه موسى –عليه السلام– أن يخرج هذا المجتمع من هذا الطغيان المستبد، قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٣]، فبهذا يتضح أن مجتمع السحرة مجتمع مسلوب الحقوق مسلوب الضروريات الخمس التي كفلها الإسلام، فلا يستطيع أن يختار ديناً سوى دين فرعون، ولا يأمن على نفسه من القتل، ولا على عقله في اختيار ما يناسبه ويتواءم معه ومع ميوله، فأجبروا على امتهان السحر، ولا يأمنون على أعراضهم، ولا يستطيعون حفظ أموالهم بل يعملون بدون أجر، ولذا طلبوا من فرعون حال غلبتهم على موسى أن يعطيهم أجرًا، فمتى ما وجد هذا المجتمع المخرج أقدم، ولم يبالِ بشيءٍ؛ فليس لديه ما يخسره.

ثالثًا: أسماء سحرة فرعون:

ذكر ابن اسحاق بعض رؤساء وكبار السحرة، فقال: رؤوس السحرة ساتور، وعاذور، وحطحط، ومصفى، وهم الذين آمنوا، كذا حكاه ابن ماكولا، ورأيت عن غير ابن اسحاق: سابورا، وعازورا، وقال مقاتل: اسم أكبرهم شمعون.[٤] فلم يقص الله علينا أسمائهم في كتابه العزيز، ولذا الغاية من ذكر القصص في القرآن الكريم العبر والدروس.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٠٥/٥ .
(٢) سورة يونس: ٨٣.
(٣) سورة الشعراء: ١٧.
(٤) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١٤٤/٢ .

رابعًا: عدد سحرة فرعون:

اختلف في عدد سحرة فرعون ما بين مكثر ومقل، وكان أقل ما ذكر عن عددهم أنهم سبعون، وأكثر ما قيل في عددهم ثمانون ألف، ولم يذكر الله -عزَّ وجلَّ- في كتابه ما يحدد عددهم. ولم يذكر الكتاب الحكيم ولا الرسول المعصوم ﷺ عددهم؛ إذ لا فائدة منه.(١) وسأعرض أقوال من ذكر عدد السحرة.

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولًا، أحدها: أنهم اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: اثنان وسبعون ألفًا، روي عن ابن عباس أيضًا، وبه قال مقاتل، والثالث: سبعون، روي عن ابن عباس أيضًا، والرابع: اثنا عشر ألفًا، قاله كعب، والخامس: سبعون ألفًا، قاله عطاء، وكذلك قال وهب في رواية، إلا أنه قال: فاختار منهم سبعة آلاف، والسادس: سبعمائة، وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب أنه قال: كان عدد السحرة الذين عارضوا موسى سبعين ألفًا متخيرين من سبعمائة ألف، ثم إن فرعون اختار من السبعين الألف سبعمائة، والسابع: خمسة وعشرون ألفًا، قاله الحسن، والثامن: تسعمائة، قاله عكرمة، والتاسع: ثمانون ألفًا، قاله محمد بن المنكدر، والعاشر: بضعة وثلاثون ألفًا، قاله السدي، والحادي عشر: خمسة عشر ألفًا، قاله ابن اسحاق، والثاني عشر: تسعة عشر ألفًا، رواه أبو سليمان الدمشقي، والثالث عشر: أربع مائة، حكاه الثعلبي.(٢)

واختلف الناس في عدد السحرة على أقوال كثيرة ليس لها سند يوقف عنده، والحاصل من ذلك أنهم جمع عظيم.(٣)

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ٥٥/٩، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١٤٤/٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٥٨/٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٠٣/٥.

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ٦٣/٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ.

إذ ليس من تحديد عددهم فائدة تذكر، وغاية ذلك أنهم كثيرون ممن عمل وامتهن السحر وآمنوا بموسى وهارون عليهما السلام عندما رأوا البينات والحجج.

خامسًا: مصير سحرة فرعون بعد تهديد فرعون لهم:

اختلف في مصير سحرة فرعون بعد أن آمنوا بالله مع موسى وهارون عليهما السلام: هل نفذ فرعون فيهم ما توعد به أم لم ينفذ؟ وفي هذه السطور سأعرض أقوال كلا الفريقين:

الفريق الأول: القائلون بأن فرعون نفذ بالسحرة ما هددهم بهم:

أولًا: قال الإمام الطبري: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبو داود الحفري وحبوبة الرازي، عن يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، قال: أوّل من صلّب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون.(١)

وقال أيضًا: فحدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَفٍ ﴾(٢)، فقتلهم وصلبهم، كما قال عبد الله بن عباس، حين قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾، قال: كانوا في أول النهار سحرة، وفى آخر النهار شهداء.(٣)

ثانيًا: قال الإمام عبدالرحمن بن إدريس: حدثنا محمد بن يحيى، أنبنأ يوسف بن واقد، ثنا يعقوب، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ...﴾ وكان أول من قطع الأيدي والأرجل وصلب فرعون.(٤)

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ٣٤/١٣، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٣٥/١٣-٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ١٥٣٧/٥، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.

وقال أيضًا: حدثنا أبو زرعة، ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف فقتلهم وقطعهم كما قال.(١)

ثالثًا: قال الإمام ابن كثير: قال ابن عباس: وكان أول من صلب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون.(٢)

وقال أيضًا: فكانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة، قال ابن عباس، وعبيد بن عمير، وقتادة، وابن جريج: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء.(٣)

رابعًا: قال صاحب تيسير الكريم الرحمن: إن فرعون توعدهم بالقطع والصلب، ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأتِ في ذلك حديث صحيح والجزم بوقوعه أو عدمه يتوقف على الدليل، والله أعلم بذلك وغيره، ولكن توعده إياهم بذلك مع اقتداره دليل على وقوعه، ولأنه لو لم يقع لذكره الله، ولاتفاق الناقلين على ذلك.(٤)

الفريق الثاني: القائلون بأن فرعون لم ينفذ ما هدد به السحرة:

أولًا: قال الإمام الرازي: واختلفوا في أنه هل وقع ذلك منه؟ وليس في الآية ما يدل على أحد الأمرين، واحتج بعضهم على وقوعه بوجوه:

الأول: أنه تعالى حكى عن الملأ من قوم فرعون أنهم قالوا له: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾(٥) ولو أنه ترك أولئك السحرة وقومه أحياء وما قتلهم لذكرهم أيضًا ولحذرهم عن الإفساد الحاصل

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٥٣٧/٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٥٩/٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٥٩/٥.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص٥٠٨، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
(٥) سورة الأعراف: ١٢٧.

من جهتهم، ويمكن أن يجاب عنه بأنهم دخلوا تحت قومه فلا وجه لإفرادهم بالذكر.[١]

الثاني: أن قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾[٢] يدل على أنه كان قد نزل بهم بلاء شديد عظيم حتى طلبوا من الله تعالى أن يصبرهم عليه، ويمكن أن يجاب عنه بأنهم طلبوا من الله تعالى الصبر على الإيمان وعدم الالتفات إلى وعيده.

الثالث: ما نقل عن ابن عباس –رضي الله عنه– أنه فعل ذلك وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وهذا هو الأظهر مبالغة منه في تحذير القوم عن قبول دين موسى –عليه السلام، ولم يعلق الإمام الرازي على رواية ابن عباس –رضي الله عنه–.

ثانيًا: قال الإمام أبو حيان الأندلسي: وهذا التوعد الذي توعده فرعون السحرة ليس في القرآن نص على أنه أنفذه وأوقعه بهم.[٣]

ثالثًا: قال الإمام البقاعي: والظاهر أن الله تعالى أجابهم فيما سألوه تلويحًا بذكر الرب فلم يقدره عليهم لقوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[٤] ولم يأتِ في خبر يعتمد أنه قتلهم.[٥]

رابعًا: قال صاحب أضواء البيان: واعلم أن العلماء اختلفوا: هل فعل بهم فرعون ما توعدهم به، أو لم يفعله بهم؟ فقال قوم: قتلهم وصلبهم، وقوم

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣٩/١٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٦.

(٣) البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، ١٤١/٥، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

(٤) سورة القصص: ٣٥.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ٣٣/٨، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

أنكروا ذلك، وأظهرهما عندي: أنه لم يقتلهم، وأن الله عصمهم منه لأجل إيمانهم الراسخ بالله تعالى؛ لأن الله يقول لموسى وهارون: ﴿قَالَ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾[1]، والعلم عند الله تعالى.[2]

وعند النظر فيما استند إليه أئمة التفسير رحمهم الله في تنفيذ فرعون ما وعد به على السحرة الذين آمنوا بموسى وهارون عليهما السلام نجد طريقين، حديث ابن عباس رضي الله عنه: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وقول ابن عباس: كانوا في أول النهار سحرة، وفى آخر النهار شهداء.

فحديث ابن عباس رضي الله عنه، أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، وأخرجه الطبري من هذا الطريق إلى ابن عباس، ولكن في سنده ابن وكيع، وهو سفيان فيه مقال، أما قول ابن عباس رضي الله عنه، فأخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق السُّدّي عن ابن عباس، والسدي لم يسمع ابن عباس، وقول عبيد بن عمير أخرجه الطبري بسند فيه ابن وكيع، وهو سفيان فيه مقال.[3]

---

(١) سورة القصص: ٣٥.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ٦٥/٤، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير فقيه المفسرين ومفسر المحدثين، تحقيق: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، أشرف على طبعه سعد بن فواز الصميل، ٧٢/٤، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه.

المبحث الثاني

الفوائد الدعوية المتعلقة بالداعية في حوارات سحرة فرعون:

إن الداعية أحد أركان الدعوة وأسسها، ولذا ساق الله لنا في كتابه منهجًا دعويًّا يضبط للدعاة طريقهم في الدعوة إلى دينه، وعند التأمل في حوارات السحرة نجد أنها احتوت على دلائل دعوية تفيد الداعية في دعوته، وفي هذا المبحث سأعرض ما تسير لي الوقوف عليه من هذه الدلالات.

أولًا: تمكين أصحاب الشبهات والشهوات من عرضها لمن وثق في القدرة على تفنيدها:

قد برز في قصة سحرة فرعون ملمح دعوي يفيد الدعاة إلى الله في دعوتهم، وهذا ظاهر من سماح موسى -عليه السلام- للسحرة بعرض سحرهم وإظهاره ، فقال الله -عزَّ وجلَّ- في ذلك: ﴿ قَالَ أَلْقُوا ﴾[1]. فإنه لما تعين ذلك طريقًا إلى كشف الشبهة صار جائزًا، وهذا كالمحق إذا علم أن في قلب واحد شبهة، وأنه لو لم يطالبه بذكرها وتقريرها بأقصى ما يقدر عليه لبقيت تلك الشبهة في قلبه، ويخرج بسببها عن الدين؛ فإن للمحق أن يطالبه بتقريرها على أقصى الوجوه، ويكون غرضه من ذلك أن يجيب عنها ويزيل أثرها عن قلبه؛ فمطالبته بذكر الشبهة لهذا الغرض تكون جائزة فكذا هاهنا.[2]

فينبغي للدعاة التنبه لهذا، وقد ورد في محكم التنزيل أن الشيطان وسوس لأبينا آدم -عليه السلام-، فقال سبحانه: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾[3]، وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الشيطان يوسوس

(١) سورة الأعراف: ١١٦.
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٧٢/٢٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.
(٣) سورة الأعراف: ٢٠.

للناس، فعن عبد الله بن عبد الرحمن سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هـذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله.[1] وعن أبى هريرة قال جاء ناس من أصحاب النبى ––صلى الله عليه وسلم–– فسألوه إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحـدنا أن يتكلم به. قال «وقـد وجـدتموه». قـالوا نعـم. قـال «ذاك صـريح الإيمان».[2] ولما قال عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه– ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهـم لا يعبـدون الله فاستوى جالسًا ثم قال: «أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا». فقلت استغفر لى يا رسول الله.[3] ويظهـر ذلـك أيضًا في قصة الشاب الذي جاءه ﷺ يستأذنه في الزنا، فعن أبي أمامة قـال: إن فتى شابًّا أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: " ادنه، فدنا منه قريبًا ". قال: فجلس قال: " أتحبه لأمك؟ " قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ". قال: " أفتحبه لابنتك؟ " قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لبناتهم ". قـال: " أفتحبـه لأختك؟ " قال: لا والله، جعلنـي الله فـداءك. قـال: "ولا النـاس يحبونـه لأخواتهم". قال: " أفتحبه لعمتك؟ " قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم ". قال: "أفتحبه لخالتك؟ " قـال: لا والله، جعلنـي الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم ". قال: فوضع يده عليه، وقال: "

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه (٧٢٩٦)، ١١٩/٩. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الناشر: دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله إن وجده، (٣٥٧)، ٨٣/١. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل، بيروت.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، (٣٧٦٨)، ١٩٢/٤.

اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه " قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.(١)

ونجد أن الشبهة يثيرها الشيطان وحزبه، وقد تؤثر في الإنسان لضعفه، وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هذا المنهج، ولذا نجد أنه عند وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- تنازع الصحابة في خبر وفاته، فعن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدًا -صلى الله عليه وسلم- فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٢)، قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقِرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد مات.(٣) وقد تصدى ابن عباس -رضي الله عنه-للخوارج واستمع لشبهاتهم وفندها فرجع منهم ألفان.(٤)

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (٢٢٢١١)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، (٤٤٥٤)، ١٧/٦.

(٤) سنن النَّسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ١٦٥/٥، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١.

وبهذا يتبين منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام في السماح لأهل الشبه من عرضها لمن وجد من نفسه القدرة على تفنيدها.

ثانيًا: مزية الاستجابة للداعي إلى الله، وفضل السبق إلى الخير والمسارعة إليه:

إن مما يلحظ من حوارات السحرة بعد أن التقوا بموسى -عليه السلام- وأعدوا العدة وتأهبوا لذلك، فرأوا برهان ربهم أن سارعوا إلى الإيمان والانقياد لله سبحانه وطاعة لرسوله دون تلكؤ وتأخر، فخروا لله سجدًا، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[1]، فألقي السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله، ساقطين على وجوههم سجَّدًا لربهم، يقولون: "آمنا برب العالمين"، يقولون: صدقنا بما جاءنا به موسى، وأنّ الذي علينا عبادته، هو الذي يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء، وغير ذلك، ويدبر ذلك كله "رب موسى وهارون"، لا فرعون.[2] ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] وأردف موسى -عليه السلام- دعاءه لربه أن كان أول المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، وأمر الله نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- أن يذكر للمشركين أنه -صلى الله عليه وسلم- أوّل من أقرَّ وأذْعن وخضع من هذه الأمة.

وجاء ذكر ثناء الله على المهاجرين والأنصار الأولين لسبقهم إلى الإيمان، ولهجرتهم لله ورسوله، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ

(١) سورة الأعراف: ١١٩-١٢٢

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٣٢/١٣.

(٣) سورة الشعراء: ٥١.

(٤) سورة الأعراف: ١٤٣.

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1]، وأثنى على الله على السابقين في الطاعات، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾[2]. السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات، أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله، في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها.[3] وجاء في مدح أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–أنه أول السابقين إلى الإسلام، أن رسولَ الله -- صلى الله عليه وسلم-- قال: «وما عرضتُ الإسلام على أحد إلا كانت له كَبْوَة، إلا أبو بكر، فإنه لم يَتَلَعْثَم في قوله»[4]

وبهذا يتضح لنا فضل المسابقة إلى الخير بكل جوانبه ومزيته عن ما سواه من التأخر والتردد، ولذا ينبغي للدعاة إلى الله استشعار هذا الأمر، والسعي على ترغيب المَدْعُوّين إليه وتشجيعهم على التمسك به.

ثالثًا: ترويج أهل الباطل لفسادهم:

أن أهل الباطل والفساد لا يألون جهدًا في نشر فسادهم ودعوت الناس إليه ومعاداة من يخالفهم، ويدفعون لأجل ذلك ما بوسعهم لغرض صد المَدْعُوّين عن دين الحق وتشكيكهم فيه، وهذا ظاهر بيّن في قصة السحرة فنجد أن فرعون أعد العُدة فأرسل أتباعه في المدائن لحشر السحرة لملاقاة نبي الله موسى –عليه السلام–: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

(٢) سورة الواقعة: ١٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٨٣٢ .

(٤) ورواه بمعناه الديلمي في " مسند الفردوس " عن ابن مسعود رضي الله عنه، انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، ٥٨٥/٨، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى.

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾[1]، يجيئون بالسحرة المهرة، ليقابلوا ما جاء به موسى.[2] وأمر رجالاته أن يحشروا الناس في يوم الزينة، فقال سبحانه: ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾[3]، ولم يقتصر على ذلك، بل حفز السحرة بالمال والجاه حال غلبتهم على نبي الله موسى -عليه السلام-، فقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[4]، فوعدهم الأجر والتقريب، وعلو المنزلة عنده، ليجتهدوا ويبذلوا وسعهم وطاقتهم في مغالبة موسى عليه السلام.[5] ولقوة الحجة والبرهان الذي أبطل الله بعده مزاعمهم وأخزى جمعهم، وأثبت صدق ما جاء به نبي الله موسى -عليه السلام- حيث وصفهم الله بأنهم صاغرون، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[6]، وبعد أن فرق الله بين الحق والباطل جاءت مرحلة ثانية التشكيك في نبي الله موسى -عليه السلام-، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾[7]، أي رئيسكم في التعليم، وإنما غلبكم لأنه أحذق به منكم، وإنما أراد فرعون بقول هذا ليشبه على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كإيمانهم، وإلا فقد علم فرعون أنهم لم يتعلموا من موسى، بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى وولادته.[8] وبدأ يشكك في الدين، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ

(١) سورة الشعراء: ٣٦-٣٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ، ص٢٩٩.
(٣) سورة الشعراء: ٣٩-٤٠.
(٤) سورة الأعراف: ١١٣-١١٤.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٩٩ .
(٦) سورة الأعراف: ١١٩.
(٧) سورة طه: ٧١.
(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٢٤/١١.

﴿فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[١]، زاعمين أن ما جاء باطل وفساد بالدعوة إلى الله، وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، التي هي الصلاح في الأرض، وما هم عليه هو الفساد، ولكن الظالمين لا يبالون بما يقولون.[٢] وبدأ تهديد من السحرة لأجل ثنيهم عن استجابتهم وترهيب من عنده أدنى شك في صدق ما جاء به نبي الله، فقال سبحانه: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾[٣]

وبهذا يتضح أن أعداء الملة والدين يدعون لباطلهم، قال الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾[٤]. وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي جعل أئمة الخير يدعون إلى الهدى وأئمة الشر يدعون إلى النار؛ فتلك الإمامة والدعوة بجعله؛ فهي مجعولة له وفعل لهم، فأخبر أن هذا وهذا بجعله مع كونه كسبًا وفعلًا للأئمة.[٥]

فلا يسع أهل الباطل إلا التشكيك فيما جاء به الأنبياء والرسل، والقدح في الشريعة؛ فهم يسعون للنيل منها، ويتهمون من يتمسك بالهدي المستقيم بالتهم الباطلة، والله سبحانه وصفهم بسعيهم الباطل، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٦]، ولذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يتفطنوا لذلك ويتحلوا بالصبر والدعوة إلى الله على بصيرة دون غلو ولا تفريط.

---

(١) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ص٣٠٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٤) سورة البقرة: ٢٢١.

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، ص٥٥، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨ه - ١٩٧٨م.

(٦) سورة التوبة: ٣٢.

رابعًا: فضل العلم وشرف أهله:

يظهر في قصة سحرة فرعون فضل العلم وشرف أهله وهيبتهم ومكانتهم، وهذا ظاهر في مشورة فرعون للملأ وإبداء رأيهم على أن يأتي بكل سحّار عليم، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾[1]، بكل سحّار، على المبالغة في معرفة السحر، فيكون وصف عليم تأكيدًا لمعنى المبالغة؛ لأن وصف عليم الذي هو من أمثلة المبالغة للدلالة على قوة المعرفة بالسحر.[2]كما يتضح مكانة أهل العلم وعلو شأنهم وتصديرهم عند حلول المشكلات ونزول الأزمات، فلم يلتجئ فرعون إلا لمتمرس خبير عالم بالسحر، وعارف بفنونه وأسراره، فلم يصدّر أحدًا من الملأ والأشراف لحل المشكلة مع موسى -عليه السلام-، فحشر رجال فرعون عامة الناس أجمعين، وحضر الملأ وتزعمهم فرعون نفسه في يوم الزينة، وكل يترقب وينظر يوم الفرقان أيغلب السحرة فيتبعوهم، أم ينصر نبي الله، فقال سبحانه: ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[3]، فلما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم استرهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم، فقال الله تعالى: ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[4]، فلما ألقى موسى -عليه السلام- أيقنوا يقيناً لا مرية فيه أن ما جاء به موسى -عليه السلام- حق من عند الله، فهم أعرف بالسحر ويستطيعون تمييز السحر مما ليس بسحر، ولو لم يكون كذلك لظنوا أن ما جاء به نبي الله سحر تفوق عليهم بعلمه، فقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟

(١) سورة الشعراء: ٣٧.

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ٤٥/٩، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

(٣) سورة الشعراء: ٤٠.

(٤) سورة الأعراف: ١١٦.

هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

أنهم لما كانوا بأبواب السحر ومذاهب الاحتيال أعرف من غيرهم، وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، كان ذلك في حق غيرهم أبين وأوضح، وكانوا هم لمعرفته أخص.[٢]

قال المحققون: إنهم لأجل كمالهم في علم السحر ميزوا السحر من غيره؛ فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر إلى الإيمان، فما ظنك بالإنسان الكامل في علم التوحيد والشريعة والحكمة.[٣]

ووجه آخر هو أن أهل العلم والمعرفة يكون لهم في أعين الناس هيبة وحشمة، ويكونون في أنفسهم أقوياء أشداء لما تجلى عليهم من أنوار المعرفة والبصيرة، يعرف ذلك أصحاب العلوم وأرباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور.[٤]

وقد أثنى الله –عزَّ وجلَّ– على أهل العلم وبين فضله ومكانته ورفعة أهله، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٥] وأهل العلم هم أكثر الناس خشية لله لما وهبوا من بصيرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[٦]، كما أن من بركات العلم أن ينفع صاحبه بعد موته، فعن أبى هريرة أن رسول الله --

(١) سورة الأعراف: ١١٧–١٢١.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١٦٨/٣.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، ٣٠٠/٣–٣٠١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ٣٠٠/٣.

(٥) سورة المجادلة: ١١.

(٦) سورة فاطر: ٢٨.

صلى الله عليه وسلم-- قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »[1].

خامسًا: أهمية جغرافية الدعوة وأثرها في انتشار الإسلام:

إن من الفطر البشرية حُبّ الأوطان، وقد أدرك فرعون هذا الأمر فاستغله في إثارة عواطف المجتمع لمصلحته، فعندما آمن السحرة غاظه ذلك فأثار شبهة تواطؤ نبي الله والسحرة المؤمنين على إخراج أهل مصر منها، فقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، والشبهة أن غرض موسى والسحرة فيما تواطئوا عليه إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم، ومعلوم عند جميع العقلاء أن مفارقة الوطن والنعمة المألوفة من أصعب الأمور.[3]

ولأهمية جغرافية الدعوة وأثر توفير الأمن في الأوطان على المَدْعُوّين؛ وعد نبي الله عليه السلام قومه أن سيرثون أرض مصر لينظر كيف يعبدون الله، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[4]. أخبرهم أن الأرض- يعني أرض مصر- لله، يورثها من يشاء من عباده، وهو وعد من موسى عليه السلام لقومه بالنصر على فرعون وقومه، وأن الله سيورثهم أرضهم وديارهم.[5]

وأعداء الرسل أدركوا أن حب الأوطان متأصل في نفوس البشر؛ ولذا يسلكون مسلك الإرغام على ترك دين الإسلام لغرض الاستقرار في الأوطان، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (٤٣١٠)، ٧٣/٥.
(٢) سورة الأعراف: ١٢٣.
(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣٨/١٤-٣٣٩.
(٤) سورة الأعراف: ١٢٩.
(٥) فتح القدير، الشوكاني، ٢٦٨/٢ .

أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾[٢]

وقرن الله القتل بالإخراج من الأوطان، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾[٣]

ولأهمية الأمن في الأوطان دعا نبي الله إبراهيم -عليه السلام- أن يجعل مكة بلدًا أمنًا، فقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٤]، وذمَّ الله من قدَّم محبة الأوطان على محبة الله ورسوله ، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[٥]

فينبغي للدعاة إلى الله إداك أهمية جغرافية الدعوة إلى الله وأثرها وارتباطها بالدعوة، فبالأمن تستقر النفوس ويطمئن العباد ويتحقق الاستقرار، وبضده لا يهنأ العباد في عيشهم ولا معيشهم؛ فلا يأمنون على دينهم ولا على أنفسهم ولا على أعراضهم ولا على أموالهم، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا

(١) سورة إبراهيم: ١٣.
(٢) سورة الحج: ٤٠.
(٣) سورة النساء: ٦٦.
(٤) سورة البقرة: ١٢٦.
(٥) سورة التوبة: ٢٤.

وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1]؛ ولذا حري بالدعاة تذكير المَدْعُوّين بنعمة الأمن وبموجبات نعمة الأمن، وحثهم على شكرها، فبشكر تدوم النعم.

سادسًا: الثبات على الدين والصبر في سبيله:

يظهر من حوارات سحرة فرعون مسألة الثبات على الدين والصبر على منغصات الحياة فهو أمر بارز في هذه القصة، ويتجلى ذلك في ثبات السحرة بعد أن آمنوا بالله ورسوله؛ فقد أظهروا الثبات على الدين ولم يرجعوا عنه مع اتهامهم بالمكر، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ ﴾[2]، والتواطؤ مع نبي الله على تعلم السحر، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾[3]، وتأليب المجتمع بأسره ضدهم، قال الله تعالى: ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ﴾[4]، وتهديد فرعون لهم بأبشع وسائل القتل بتقطع الأيدي والأرجل من خلاف والتصليب، ومع ذلك نجدهم ثابتين صامدين، قال تعالى: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[5]، ولم يكتفِ السحرة بسماعهم من فرعون كل هذه الاتهامات والتهديدات بل أكدوا بحديثهم وكلامهم لفرعون أن لا رجعة، وهذا يؤكد ثباتهم وصبرهم، قال سبحانه: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾[6]، وقال الله عنهم أيضًا: ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[7].

(١) سورة الأنعام: ٨٢.
(٢) سورة الأعراف: ١٢٣.
(٣) سورة طه: ٧١.
(٤) سورة الأعراف: ١٢٣.
(٥) سورة الشعراء: ٤٩.
(٦) سورة طه: ٧٢.
(٧) سورة الشعراء: ٥٠.

فدعوا الله أن يثبتهم ويصبرهم، لأن هذه محنة عظيمة، تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير، ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه، ويزول عنه الانزعاج الكثير.(١) فطلبوا أبلغ أنواع الصبر استعدادًا منهم لما سينزل بهم من العذاب من عدو الله وتوطينًا لأنفسهم على التصلب في الحق، وثبوت القدم على الإيمان.(٢)

وجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية نماذج مشرفة تنضوي تحت هذا المدلول، فنجد أصحاب الأخدود ثبتوا على الدين ولم ينثنوا عنه، قال سبحانه: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٣)، وأصحاب الكهف الذين آمنوا بالله واعتزلوا قومهم المشركين، فقال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾(٤)، فثبتهم الله لثباتهم على دينه، وذكر نبينا – صلى الله عليه وسلم– صحابته بهذا المعنى بعد أن اشتد أذى المشركين، فعن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم، أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».(٥)

فقد ظهرت معالم ثبات السحرة قبل إيمانهم وبعده، فقد كان دافعهم ومحفزهم قبل الإيمان المال والجاه والحياة الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ وَجَآءَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٥٩/٣.
(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٢٦٨/٢.
(٣) سورة البروج: ٨.
(٤) سورة الكهف: ١٣.
(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ ح (٣٦١٢)، ٢٤٤/٤.

ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[1]، وبعد الإيمان قال الله تعالى عنهم: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾[2]، وبعد استيقان الإيمان في قلوبهم تغير الأمر إلى حُبّ الله والدار الآخرة. يقول مالك: دعا موسى –عليه السلام– فرعون أربعين سنة إلى الإسلام، وأن السحرة آمنوا به في يوم واحد.[3]

فينبغي للدعاة إلى الله بيان أهمية الثبات على الدين والصبر في سبيله وعظم أجره وفضله، وبيان السبل المعينة على ذلك، وحثهم على الالتجاء إلى الله بالدعاء.

سابعًا: وعظ موسى للسحرة ووعظ السحرة لفرعون:

إن نبي الله موسى –عليه السلام– وعظ السحرة بعد جمع فرعون السحرة، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾[4]، فبين الله تعالى أن موسى قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من أهل النصح والإشفاق، ولا سيما الأنبياء المبعوثين رحمة للأمم ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن تدعوا آياته ومعجزاته سحرًا ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾، والإسحات معناه الاستئصال، فحذرهم أمرين: أحدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم، والآخر الخيبة

(١) سورة الأعراف: ١١٣–١١٤.
(٢) سورة طه: ٧٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩٩/١٣.
(٤) سورة طه: ٦١.

والحرمان عن المقصود فإن التمويه لا بقاء له فتنازعوا أمرهم بينهم.[١] فأثر معهم ووقع منهم موقعًا كبيرًا؛ ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام والموعظة.[٢]

وكرر نبي الله ﷺ على السحرة موعظة ثانية عندما ألقى السحرة عصيهم وحبالهم، ذكرهم بأن الله سيبطل السحر ولا يصلح عمل المفسدين، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٣].

وتلك المواعظ التي وعظ بها نبي الله موسى -عليه السلام- كان لها الأثر بعد توفيق الله أن آمن السحرة؛ ولذا استشعر السحرة أثر المواعظ على النفوس؛ فبها تغير مجرى حياتهم بعد أن كانوا من حزب الشيطان إلى أن أصبحوا من حزب الرحمن، فقام بواجب الدعوة ودعوا فرعون. قال مالك: دعا موسى -عليه السلام- فرعون أربعين سنة إلى الإسلام، وأن السحرة آمنوا به في يوم واحد.[٤]

قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[٥]، والظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة فرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد.[٦]

وقد بين الله في كتابه حال الذي جاء من أقصى المدينة يسعى يقوم بواجب الدعوة ودعوة قومه، فقال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ٤/٤٥٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٥٠٨.
(٣) سورة يونس: ٨١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/٩٩.
(٥) سورة طه: ٧٤-٧٦.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/٣٠٥.

قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[1]، ولم يكتفي أن دعا قومه إلى دين الله والتوحيد في حياته، بل تمنى أن يرجع بعد مماته ليدعو قومه بما غفر الله له، فقال سبحانه: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾[2]، وجاء في سنة النبوية: عن شيخ من بني مالك بن كنانة، قال: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: " يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا "، قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: يا أيها الناس، لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزى، قال: وما يلتفت إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: قلنا: انعت لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: " بين بردين أحمرين، مربوع كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر ".[3]

فينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بدعوة غير المسلمين وأهل الفسق والضلال ووعظهم.

ثامنًا: الإكراه في الدعوة:

إن من المسائل الدعوية التي ورد ذكرها في حوارات سحرة فرعون الإكراه، والتي كان أحد أسباب استجابة السحرة لموسى -عليه السلام- إكراههم على تعلم السحر، قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾[4]. وذكر الإكراه للإيذان بأنه مما يجب أن يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالإكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب

(١) سورة يس: ٢٠.

(٢) سورة يس: ٢٦-٢٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، ، باب حديث شيخ من بني مالك بن كنانة،(١٦٦٠٣) ١٤٨/٢٧، وقال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٤) سورة طه: ٧٣.

المغفرة وقيل: أرادوا الإكراه على تعلم السحر.[١] وبحسب كلام السحرة أنهم أكرهوا على السحر، ولذا يحسن أن نبين بعضًا من الشواهد على الإكراه على الدين القويم، وإكراه المسلم على الكفر، والإكراه على ما دون الكفر؛ لأنها من المسائل الدعوية المهمة.

فالإكراه على الدخول في دين الله منفي بنص القرآن الكريم، فقال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[٢]. فلا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام؛ فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا.[٣]

وإظهار الكفر بسبب الإكراه عليه لا يضر ما دام صاحبه ثابتًا على إيمانه، فقد قال سبحانه: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[٤]. لما سمح الله عز وجل بالكفر به وهو أصل الشريعة عند الإكراه ولم يؤاخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ به، ولم يترتب عليه حكم.[٥]

عن ابن عباس أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.[٦]

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ٣٠/٦، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٨٢/١.

(٤) سورة النحل: ١٠٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨١/١٠–١٨٢ .

(٦) معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المحقق: سيد كسروي حسن، باب طلاق المكره، (٤٤٧٦)، ٤٩٥/٥، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

تاسعًا: الوضوح والبعد من استعمال الألفاظ الاحتمالية:

إن من الأمور الدعوية الظاهرة في حوارات سحرة فرعون بعد إيمانهم الوضوح في العبارات وقطع باب الظن والشك، وهذا ظاهر في نطقهم وتصريحهم بالإيمان بالله فقد يظن أن المقصود بذلك فرعون مدعي الربوبية، لكن سحرة فرعون قطعوا الشك باليقين؛ فلا ظن مع ذلك فأردفوا إيمانهم برب العالمين رب موسى وهارون، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[1]. فقالوا هذه المقالة وصرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين، ثم لم يكتفوا بذلك حتى قالوا: "رب موسى وهارون" لئلا يتوهم متوهم من قوم فرعون المقرين بإلهيته أن السجود له.[2]

وهذا التصريح "للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه؛ حيث كان فرعون ربي موسى عليه الصلاة والسلام فلو قدموا موسى عليه الصلاة والسلام لربما توهم اللعين وقومه من أول الأمر أنَّ مرادَهم فرعونُ."[3]

فعن صفية زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرته أنها جاءت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تزوره وهو معتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت تنقلب فقام معها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى إذا بلغ قريبًا من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- مر بهما رجلان من الأنصار فسلَّما على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم نفذا، فقال لهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : على رسلكما، قالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما ذلك، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا.[4]

---

(١) سورة الأعراف: ١٢١-١٢٢.

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٢٦٥/٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ٢٨/٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة، (٣١٠١)، ١٠٦/٨.

عاشرًا: عدم مواصلة الحوار وقطعه إذا تبين خلاف مقصود المتحاور:

إن الحوار من الوسائل الدعوية التي سلكها السحرة مع فرعون، فبعد أن آمن السحرة وأعلنوا ذلك للملأ أجمعين بإيمانهم، فستنكر فرعون إيمانهم وبدأ حينئذٍ فتح قناة بين السحرة وفرعون، فبدأ فرعون بعرض شبهه وتهديداته عليهم، فأرادوا أن يتحاوروا معه ويعلموه ألا فائدة من تلك التهديدات، وأن غاية مقدوره في الحياة الدنيا، وأن غايتهم الآخرة، ولم يستمروا معه في الحوار، إذ لا فائدة تذكر مع شخص ظالم متغطرس متكبر جبار، فلتجأوا إلا من بيده مقادير السموات والأرض، فقالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾[1].

وجملة ربنا أفرغ علينا صبرًا من تمام كلامهم، وهي انتقال من خطابهم فرعون إلى التوجه إلى دعاء الله تعالى، ولذلك فصلت عن الجملة التي قبلها.[2] إنّ هذا هو الشرف العظيم والخير الكامل، ومثله لا يكون موضعًا للعيب ومكانًا للإنكار، بل هو حقيق بالثناء الحسن والاستحسان البالغ، ثم تركوا خطابه، وقطعوا الكلام معه، والتفتوا إلى خطاب الجناب العلي، مفوّضين الأمر إليه، طالبين منه -عز وجل- أن يثبتهم على هذه المحنة بالصبر.[3]

ولذلك ينبغي للدعاة إلى الله التنبه لذلك، وقد قص الله لنا في كتابه حوار إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وما فيه من قطع الحوار وعدم استمراره لعدم رغبة الأب فيما يقوله ابنه إبراهيم -عليه السلام-، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾[4].

(١) سورة الأعراف: ١٢٦.
(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ٥٦/٩ .
(٣) فتح القدير، الشوكاني، ٢٦٨/٢ .
(٤) سورة مريم: ٤٦-٤٨.

المبحث الثالث

الفوائد الدعوية المتعلقة بالمَدْعُوّ في قصة سحرة فرعون

شملت حوارات سحرة فرعون أربعة أصناف من أصناف المَدْعُوّين، فرعون رئيس المملكة، ويأخذ كثيرًا من سمات الصنف الثاني وهم الملأ، والصنف الثالث وهم الناس والسواد الأعظم من الأقباط، والصنف الرابع وهم السحرة من بني إسرائيل، وقد أقام الله عليهم الحجة جميعًا وخصصهم لكل صنف بعينه، وسأفرد كل صنف من الأصناف المذكورة بفقرة خاصة به أذكر بعضًا من سماته وموقفه من الدعوة الإسلامية.

أولًا: فرعون رئيس المملكة:

- **إدعاء الربوبية:** قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1]
- **الظلم:** قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2]
- **البغي والعدوان:** قال الله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾[3]

(١) سورة القصص: ٣٨.
(٢) سورة الأعراف: ١٢٣-١٢٤.
(٣) سورة يونس: ٩٠.

- **موقف فرعون رئيس المملكة من الدعوة الإسلامية:**

- **إرسال نبي الله موسى -عليه السلام-: قال -عزَّ وجلَّ-:** ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴾(١)

- **عصيان الرسول:** قال الله تعالى: ﴿ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴾(٢)

- **تكذيب الرسول:** قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴾(٣)

- **الاستكبار عن الآيات:** قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾(٤)

ثانيًا: الملأ:

بالفتح مهموز غير ممدود: الجماعة يجتمعون على رأي، ووجوه القوم: ورؤساؤهم وأشرافهم الذي يرجع إلى قولهم، سُمُّوا بذلك لأنهم ملاء بما يحتاج إليه، أو لأنهم يملأون الصدور هيبة.(٥)

-سمات الملأ:

- **السخرية:** قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾(٦)

---

(١) سورة الذاريات: ٣٨-٣٩.

(٢) سورة فرعون: ١٦.

(٣) سورة غافر: ٣٧.

(٤) سورة يونس: ٧٥.

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى ٧٧٦/١، العين، عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ٣٤٦/٨، الناشر: دار ومكتبة الهلال، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ٣٤٦/٥، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، لسان العرب، ابن منظور، ١٥٩/١.

(٦) سورة هود: ٣٨.

- **الاستكبار:** قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾[1]
- **الكذب على عامة الناس:** قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾[2]
- **التحريض على المؤمنين:** قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[3]
- **الترف:** قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾[4]
- **القرب من أهل القرار:** قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[5]
- **الظلم:** قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[6]
- **العلو والإسراف: قال تعالى:** ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[7]

(١) سورة الأعراف: ٧٥.
(٢) سورة الأعراف: ٩٠.
(٣) سورة الأعراف: ١٢٧.
(٤) سورة المؤمنون: ٣٣.
(٥) سورة القصص: ٣٨.
(٦) سورة الأعراف: ١٠٣.
(٧) سورة الدخان: ٣١.

-موقف الملأ من الدعوة الإسلامية:

- **إرسال نبي الله موسى -عليه السلام-:** قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(١)
- **إضلال عن سبيل الله،** قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾(٢)
- **الظلم بالآيات: قال سبحانه:** ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٣)
- **الاستكبار عن الدعوة:** قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾(٤)
- **التقليد الأعمى:** قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾(٥)
- **الضحك من الآيات:** قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾(٦)

ثالثًا: الناس:

اسم للجمع من بني آدم، واحده إنسان، وإذا أطلق لفظ الناس في القرآن شمل المسلم، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٧)، والكافر من اليهود والنصارى

(١) سورة الزخرف: ٤٦.
(٢) سورة يونس: ٨٨.
(٣) سورة الأعراف: ١٠٣.
(٤) سورة يونس: ٧٥.
(٥) سورة هود: ٩٦-٩٧.
(٦) سورة الزخرف: ٤٦-٤٧.
(٧) سورة البقرة: ٢٠٧.

وغيرهم، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]، وشمل المنافقين أيضًا، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]، والمراد بصنف الناس في حوارات سحرة فرعون القوم، وهم السواد الأعظم، ويدخل معهم فرعون وملؤه، ولم يرد ذكر الناس في معرض الحوارات إلا من باب الاسترهاب جراء سحر السحرة، كما قال سبحانه: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[3]، ولذا سأبين سمات القوم الذين هم الناس وموقفهم من الدعوة الإسلامية.

-سماتهم:

- **استخف فرعون عقولهم فدعاهم إلى دينه وضلاله فاستجابوا:** قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[4]

-موقف الناس (قوم فرعون) من الدعوة الإسلامية:

- **إرسال نبي الله موسى -عليه السلام-:** قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾[5]، موقف الناس بعد دعوة نبيهم على فريقين قوم آمنوا بالدعوة الإسلامية، كمؤمن آل فرعون، كما جاء ذكر

(١) سورة المائدة: ٨٢.
(٢) سورة البقرة: ٨.
(٣) سورة الأعراف: ١١٦.
(٤) سورة الزخرف: ٥١-٥٤.
(٥) سورة الدخان: ١٧.

قصته في سورة غافر، قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ ﴾[١]، والرجل الذي جاء يسعى ليخبر نبي الله موسى -عليه السلام- عن مراد فرعون وملئه، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾، وامرأة فرعون آسية، فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢]، وأناس لم يذكر حالهم إلا مجملًا، فقال الله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[٣] يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى، -عليه السلام-، مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم فرعون، من الذرية -وهم الشباب -على وجل وخوف منه ومن ملئه، أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر؛ لأن فرعون كان جبارًا عنيدًا مسرفًا في التمرد والعتو، وكانت له سطوة ومهابة، تخاف رعيته منه خوفًا شديدًا.[٤]

موقف الفريق الثاني من الدعوة الإسلامية:

- **التكذيب:** قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٥]
- **الظلم:** قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾[٦]

(١) سورة غافر: ٢٨.
(٢) سورة التحريم: ١١.
(٣) سورة يونس: ٨٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٨٧/٤.
(٥) سورة القمر: ٤١-٤٢.
(٦) سورة الشعراء: ١٠-١١.

المبحث الرابع

الفوائد الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة في قصة سحرة فرعون

إن المتأمل في حوارات سحرة فرعون يجد فيها موضوعات دعوية، فمنها، الاستغفار، والخلق، والسحر، وسأفرد كل موضوع من الموضوعات الدعوية المذكورة بقسم خاص به.

الموضوع الأول: فضيلة الاستغفار والتوبة من الذنوب:

إن سحرة فرعون لما آمنوا كان أحد دوافع استجابتهم لنبي الله موسى وهارون –عليهما السلام– ابتغاء مغفرة ذنوبهم وما أسرفوا على أنفسهم من الكفر والخطايا والسحر، فقال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[1]. قالوا له: إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا يعنون ذنوبهم السالفة كالكفر، وغيره من المعاصي وما أكرهتنا عليه من السحر.[2]

ويعد الاستغفار من الموضوعات الدعوية المهمة، وعند التأمل في دعوات الأنبياء عليهم الرسل نجد أنهم دعوا للاستغفار مع دعوتهم للتوحيد، قال سبحانه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[3]، وقال –عزَّ وجلَّ–: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[4]، قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟

(١) سورة طه: ٧٣.
(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ٦٦/٤.
(٣) سورة هود: ٥٢.
(٤) سورة نوح: ١٠.

إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[٢]

وعند الاعتراف لله بالذنب واستغفاره فحري بأن يغفر الله للمذنب ذنبه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٣]

فينبغي للدعاة إلى الله أن يدركوا أهمية الاستغفار وضروريته وبيانه للمدعوين وتنبيههم على أنه أحد أسباب نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، قال سبحانه: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[٤]، وقال الله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[٥].

كما ينبغي للدعاة تبصير المَدْعُوّين بأن باب التوبة مفتوح ومهما بلغ المَدْعُوّ من الذنوب وغرق في أوحالها، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٦]، فهؤلاء السحرة بلغوا من الإجرام والتقرب لشياطينهم وفعل ما لا يخطر على بال من القذارة والخسة لأجل إرضاء شياطينهم، فكلما زاد الساحر في تقربه للشياطين كان أكثر حذقاً في سحره، ومع ذلك تابوا فتاب الله عليهم. قال سبحانه على لسان السحرة: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ

(١) سورة هود: ٦١.
(٢) سورة هود: ٩٠.
(٣) سورة القصص: ١٦.
(٤) سورة نوح: ١٠-١١.
(٥) سورة هود: ٥٢.
(٦) سورة الزمر: ٥٣.

ٱلْعُلَىٰ ﴾[1]، وفي الآية تنبيه على حصول العفو لأصحاب الكبائر لأنه تعالى جعل الدرجات العلى من الجنة لمن أتى ربه بالإيمان والأعمال الصالحة؛ فسائر الدرجات التي هي غير عالية لا بد أن تكون لغيرهم.[2]

فإن ذلك لا يحول بين المذنب وبين مغفرة ذنوبه إلا بالتوبة النصوح، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[3]

الموضوع الثاني: فضيلة الأخلاق الحميدة:

يعد موضوع الخلق الحسن من الموضوعات الدعوية البارزة، وهذا ظاهر في أدب موسى –عليه السلام– في دعائه ربه؛ فجاء بفعل الرجاء دون الجزم تأدبًا مع الله تعالى[4]، قال سبحانه: ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾[5] كما ظهر حسن الأدب من سحرة وهذا نلمسه منهم في التخيير في البدء بإلقاء العصي والحبال إلا بعد أن عرضوا على نبي الله موسى وخيروه في البدء، فاستحسن نبي الله أن يبدأوا، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴾[6]، تأدبوا مع موسى –عليه السلام– فكان ذلك سبب

(١) سورة طه: ٧٥.
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٧٩/٢٢ .
(٣) سورة التحريم: ٨.
(٤) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، ٦٢/٩.
(٥) سورة الأعراف: ١٢٩.
(٦) سورة الأعراف: ١١٥.

إيمانهم.[١] إنهم لما راعوا هذا الأدب لا جرم رزقهم الله تعالى الإيمان ببركة رعاية هذا الأدب.[٢]وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه، وتواضع له وخفض جناح، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم، وكأن الله -عز وعلا- ألهمهم ذلك، وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار إلقائهم أولًا، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر.[٣] كما أن السحرة كانوا أصحاب أدب وحسن تعامل مع فرعون حيث استغرب منهم إيمانهم بموسى -عليه السلام-، فقال الله سبحانه: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾[٤]، استغرب ذلك منهم لأدبهم معه، وذلهم وانقيادهم له في كل أمر من أمورهم.[٥]

ويعد حسن الخلق والتخلق بالآداب الحميدة من أفضل الأعمال التي دعت إليها الشريعة، قال الله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[٦]، كما وصف الله نبي -صلى الله عليه وسلم- في كتابه، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٧]، كما أمر الله عباده بأن يمتثلوا حسن الخلق ويحسنوا الكلام فيما بينهم، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[٨]، وقال الله

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٥٩/٧ .
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣٥/١٤ .
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ٧٣/٣، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ه.
(٤) سورة طه: ٧١.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٥٠٨ .
(٦) سورة الحج: ٢٤.
(٧) سورة القلم: ٤.
(٨) سورة الإسراء: ٥٣.

تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]، وهو كذلك من وصايا النبي -صلى الله عليه وسلم- فعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.[2]

فينبغي للدعاة إلى الله الاعتبار بتأدب السحرة بالخُلُق الحسن مع نبي الله وما رزقهم الله به من الإيمان، وحثّ المَدْعُوّين على التأدب به وأولى من ينغي التأدب منه مع الله ورسوله والوالدين وأصحاب العلم وسائر الخلق، فبخلق الحسن ولا سيما الشريعة الإسلامية أمرت به ترفع وتعز المجتمعات به.

الموضوع الثالث: السحر وأضراره على الفرد والمجتمع:

إن من الموضوعات الدعوية الظاهرة والتي تكرر ذكرها في حوارات السحرة السحر، فيعد السحر من الموضوعات الرئيسة؛ ولذا لزم بيان أنواعه، وحكمه، وآثاره. وسحر نوعان سحر تخيل كسحر سحرة فرعون، قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[4]، "يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى" يدل على أن السحر الذي جاء به سحرة فرعون تخييل لا حقيقة له في نفس الأمر.[5] والنوع الثاني سحر حقيقي له تأثير، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، (١٩٨٧)، ٣٥٥/٤، قال الألباني: حسن، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) سورة طه: ٦٦.

(٤) سورة الأعراف: ١١٦.

(٥) أضواء البيان، الشنقيطي، ٣٥/٤.

وَزَوْجِهِۦ ﴾[١]، ويعد السحر من نواقض الإيمان، وصاحبه يكفر بالله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[٢]، وعن أبي هريرة، والحسن، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " من أتى كاهنًا، أو عرافًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد "[٣]، ومن ذهب لعراف فسأله ولم يصدقه لم يقبل له صلاة أربعين يومًا، فعن صفية عن بعض أزواج النبي --صلى الله عليه وسلم-- عن النبي --صلى الله عليه وسلم-- قال « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[٤].

ولذا ينبغي للدعاة إلى حث المَدْعُوّين على مسائل التوكل على الله وأن الضر والنفع بيد الله سبحانه، وليس بمقدور الساحر فعل شيء إلا بأمر الله، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، فالشيطان لا يصمد أمام ذكر الله وتحصين المسلم نفسه بالأذكار والأوراد الشرعية في يومه وليلته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[٦]، وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[٧]، فعند ظهور السحر في المجتمعات يضعف التمسك أفرادها بالدين والاعتماد على خالقهم، ويكثر في المجتمعات الأمراض النفسية والجسدية، وتكثر حالات الطلاق ويتشتت في إثر ذلك الأسر، ولضرر السحر عظم الاهتمام به في جعله موضوعًا دعويًّا يدعى على اجتنابه والاعتماد على الله والتوكل عليه.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣٣١/١٥ .

(٤) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (٥٩٥٧)، ٣٧/٧ .

(٥) سورة البقرة: ١٠٢.

(٦) سورة النساء: ٧٦.

(٧) سورة طه: ٦٩.

المبحث الخامس

الفوائد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها في قصة سحرة فرعون

تعد الوسائل الدعوية أساسًا في نجاح الدعوة إلى الله، ويجب استعمالها بشكل يوائم حال المَدْعُوّ، وعند التأمل في حوارات السحرة نجد أن هناك وسائل وأساليب يحسن بالدعاة إلى الله توظيفها في دعوتهم إلى الله، وسأقتصر على الوسائل والأساليب المستخدمة، وهي: المعجزة، والجُعل(الحوافز والأعطيات)، والدعاء، والقصة، والبشارة، والتشبيه، والتخيير، وسأفرد كلًا من المذكورات بموضوع مخصوص به:

أولًا: المعجزة:

إن من حكم الله أن قيَّض لكل نبي من الأنبياء معجزة من جنس ما تفوق فيه واشتهر به كل قوم، فنجد أن قوم موسى -عليه السلام- غلب عليهم السحر، فأعطى الله نبيه معجزة العصا، ومعجزة عيسى -عليه السلام- من جنس الطب بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه القرآن من جنس ما امتاز به العرب بالفصاحة والبيان، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[1]، والحكمة من الآيات والمعجزات التي يرسلها الله مع أنبيائه تأكيدًا على قدرة الله، وتأكيدًا على صدق أنبيائه؛ ولذا نجد أن نبي الله موسى عليه السلام عندما خُيّر في البدء أولًا لم يبدأ إلا بعد إلقاء حبالهم وعصيهم ليدفعوا بأقصى ما يقدرون عليه ويبذلوا كل قدرتهم على ما أوتوا من علم، ولو أن نبي الله بدأ أولًا لانشغلوا بإبطال المعجزة، فأوحى الله لنبيه موسى -عليه السلام- أن يلقى ما في يمينه، فقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[2]، وبالمعجزة وقع الحق ونقطع دابر الشك والظن، فقال الله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) سورة الأعراف: ١١٧.

وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾[١]، والنتيجة أن يؤمن بالله، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[٢]، فآمن السحرة وقليل من قوم فرعون، فقال الله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[٣]، ولذا ينبغي للدعاة استشعار ذلك، وعدم الاستسلام للفتور واليأس والإحباط، فعن ابن عباس قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد»[٤]، ولذلك ينبغي للدعاة دعوة المَدْعُوّين بالوسائل الدعوية المعززة لدعوتهم، واتخاذها سندًا لهم، من وسائل التقنية الحديثة وتوظيف وسائل الإعلام الجديد ليكون رادفًا لقوة الدعوة وظهورها بالشكل المطلوب بما يتواءم من مجتمعاتهم لتصل الدعوة في أصقاع البلدان المعمور.

هذه الآية تدل على أن السحرة كانوا كثيرين في ذلك الزمان، وهذا يدل على صحة ما يقوله المتكلمون من أنه تعالى يجعل معجزة كل نبي من جنس ما كان غالبًا على أهل ذلك الزمان؛ فلما كان السحر غالبًا على أهل زمان موسى -عليه السلام- كانت معجزته شبيهة بالسحر، وإن كانت مخالفة للسحر في الحقيقة، ولما كان الطب غالبًا على أهل زمان عيسى -عليه السلام- كانت معجزته من جنس الطب، ولما كانت الفصاحة غالبة على أهل

(١) سورة الأعراف: ١١٨-١١٩.

(٢) سورة الشعراء: ٤٦-٤٨.

(٣) سورة يونس: ٨٣.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، (٥٤٩)، ١٣٧/١.

زمان محمد -عليه الصلاة والسلام- لا جرم كانت معجزته من جنس الفصاحة.(١)

"وليس لأحد أن يقول: إن ذلك كان بسبب أنهم لما قدموه على أنفسهم فهو عليه السلام قابل ذلك بأن قدمهم على نفسه؛ لأنّ أمثال ذلك إنما يحسن فيما يرجع إلى حظ النفس، فأما ما يرجع إلى الدليل والشبهة فغير جائز. والجواب: أنه عليه السلام كان قد أظهر المعجزة مرة واحدة، فما كان به حاجة إلى إظهارها مرة أخرى، والقوم إنما جاءوا لمعارضته فقال عليه السلام: لو أني بدأت بإظهار المعجزة أولًا لكنت كالسبب في إقدامهم على إظهار السحر وقصد إبطال المعجزة وذلك غير جائز، ولكني أفوض الأمر إليهم حتى إنهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر، ثم أنا أظهر المعجز الذي يبطل سحرهم فيكون على هذا التقدير سببًا لإزالة الشبهة.(٢)

ثانيًا: الجُعل والحوافز والأعطيات وأثرها في الدعوة

لقد استغل فرعون حاجة السحرة إلى المال عند طلبهم له حال فوزهم على نبي الله موسى عليه السلام ، ومقصود فرعون تحفيز السحرة على زيادة كيدهم في السحر والحرص على غلبة نبي الله، ولذا أكد لهم المال وحصول القرب منه، فقال سبحانه: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾(٣). قالوا إن لنا لأجرًا جعلًا على الغلبة والتنكير للتعظيم، وقال نعم إن لكم أجرًا وإنكم لمن المقربين، ولا أقتصر لكم على الثواب، بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب، وهو التقريب والتكريم؛ لأن الثواب إنما يهنأ إذا كان مقرونًا بالتعظيم.(٤)

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣٣/١٤ .
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٧٢/٢٢.
(٣) سورة الأعراف: ١١٣-١١٤.
(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ٢٩٩/٣ .

وإنكم لمن المقربين عطف على مقدر هو عين الكلام السابق الدال عليه حرف الإيجاب، ويسمى مثل هذا عطف التلقين، ومن قال إنه معطوف على السابق أراد ما ذكرنا، والمعنى إن لكم لأجرًا وإنكم مع ذلك لمن المقربين، أي إني لا أقتصر لكم على العطاء وحده وإن لكم معه ما هو أعظم منه، وهو التقريب والتعظيم؛ لأن من أعطى شيئًا إنما يتهنأ به، ويغتبط إذا نال معه الكرامة والرفعة، وفي ذلك من المبالغة في الترغيب والتحريض ما لا يخفى.(١)

فينبغي للدعاة إلى الله إدراك أهمية وسيلة الأعطيات والهدايا للمدعوين حال فوزهم بإنجاز يصلون إليه أو يحققونه، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾(٢)، كما جاء في السنة النبوية على جواز الجعل، فعن أبي سعيد، رضي الله عنه، قال انطلق نفر من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء؛ فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه؛ فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا؛ فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلًا. فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، فكأنما نشط من عقال. فانطلق يمشي وما به قَلَبَة. قال فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه.

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، ٢٥/٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) سورة يوسف: ٧٢.

فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي –صلى الله عليه وسلم– فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية، ثم قال : قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهمًا، فضحك رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.(١)

فينبغي للدعاة إلى الله تحفيز المَدْعُوّين في حفظ كتاب الله أو شيء من أجزائه وسوره، أو أحاديث من السنة النبوية، واغتنام هذه الوسيلة في شحذ الهمم واغتنام طاقاتهم واستغلال أوقاتهم وخصوص الناشئة.

ثالثًا: الدعاء وأهميته:

إنَّ الدعاء من الوسائل الدعوية فقد دعا السحرة ربهم بعد إيمانهم وسماعهم لتهديد فرعون لهم فالتجأوا إلى خالقهم ومولاهم، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾(٢). ثم دعوا الله أن يثبتهم ويصبرهم، ونكر الصبر، لأن هذه محنة عظيمة، تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير، ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه، ويزول عنه الانزعاج الكثير.(٣) فلجأوا إلى الدعاء كما هو دأب الصديقين عند نزول البلاء فقالوا: "أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا" أفض علينا سجال الثبات على متابعة الدين أو على ما توعدنا به فرعون "وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ" ثابتين على الدين الذي جاء به موسى وأخبروا عن إيمانهم أولا وسألوا التوفي على الإسلام ثانيا.(٤)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، بَابُ مَا يُعْطَى فِي الرُّقْيَةِ عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ، (٢٢٧٦)، ١٢١/٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٦.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٣٠٠.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ٣٠٢/٣ .

فالدعاء سلاح الداعية حال نزول الملمات وحلول الأزمات، فقد دعا نبي الله أيوب ربه حال نزول الضر، فقال سبحانه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(١)، وقال الله –عزَّ وجلَّ– عن نبي الله يونس –عليه السلام–، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢)، **وقال الله عن زكريا –عليه السلام–:** ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾(٣)، كما جاء في السنة النبوية من دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– للمدعوين بالهداية، قال أبو هريرة –رضي الله عنه–قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي –صلى الله عليه وسلم– فقالوا: يا رسول الله إن دوسًا عصت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس قال اللهم اهد دوسا وأت بهم.(٤)

ودعا النبي –صلى الله عليه وسلم– لأنس رضي الله عنه، فعن قتادة قال سمعت أنسًا قال: قالت أم سليم للنبي –صلى الله عليه وسلم– : أنس خادمك قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته.(٥)

فينبغي للدعاة الدعاء للمدعوّ حرصًا على ما فيه الخير له، وهذا الدعاء كذلك يحبب الداعية إلى نفس المدعوّ لأنه يظهر حب الداعية ورغبته في تحقيق الخير للمدعوّ.

(١) سورة الأنبياء: ٨٣.
(٢) سورة الأنبياء: ٨٧.
(٣) سورة الأنبياء: ٨٩.
(٤) صحيح البخاري، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، (٢٩٣٧)، ٤٣٩/٧.
(٥) صحيح البخاري: كتاب العلم، (٦٣٣٤)، ٨٤/١٦.

رابعًا: أسلوب القصة:

إن المتأمل في حوارات السحرة يجد أنها جاءت بشكل أسلوب قصصي في ثلاث سور من سور القرآن وليس بينها تعارض، وإنما الغرض من ذلك أخذ العبر من تلك القصص وعرضها بأساليب متنوعة، فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1] وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] كما أن من تنوع القصص تثبيت القلب على الدين، قال الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

فالقرآن ليس كتاب تاريخ تدون فيه القصص بحكايتها كلها كما وقعت، ويذكر كل ما قيل فيها بنصه أو بترجمته الحرفية – وإنما هو كتاب هداية وموعظة، فهو يذكر من القصص ما يثبت به الإيمان، ويتزكى الوجدان، وتحصل العبرة، وتؤثر الموعظة، ولا بد في ذلك من تكرار المعاني مع التفنن في الأسلوب والتنويع في نظم الكلام وفواصل الآي، وتوزيع الفوائد وتفريقها، بحيث يوجد في كل قصة ما لا يوجد في غيرها.[4]

واعلم أن هذه القصة تنبه على أسرار عجيبة من أمور الربوبية ونفاذ القضاء الإلهي وقدره في جملة المحدثات، وذلك لأن ظهور تلك الأدلة كان بمرأى من الكل ومسمع؛ فكان وجه الاستدلال فيها جليًّا ظاهرًا وهو أنه

(١) سورة يوسف: ١١١.
(٢) سورة الأعراف: ١٧٦.
(٣) سورة هود: ١٢٠.
(٤) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ٩/٦١-٦٢، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

حدثت أمور فلا بد لها من مؤثر والعلم بذلك ضروري، وذلك المؤثر إما الخلق، وإما غيرهم.(١)

خامسًا: أسلوب البشارة

يعد أسلوب البشارة من الأساليب الدعوية التي استخدمها نبي الله موسى عليه السلام في حواراته مع السحرة بعد إيمانهم وتهديد فرعون له، فبشرهم نبي الله أن الأرض لله يورثها لعباده المؤمنين والعاقبة لهم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢)، وبشرهم بهلاك فرعون، فقال سبحانه: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(٣). عسى ربكم أن يهلك عدوكم تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل. وكشف عنه، وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل، حسنه وقبيحه، وشكر النعمة وكفرانها، ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم.(٤)

واستخدم أسلوب البشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والغاية منه شحذ الهمم وفتح باب الأمل وتطمئنة النفوس وتؤلف بين القلوب،، فقال –عزَّ وجلَّ–: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٥)، وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٧٥/٢٢ .
(٢) سورة الأعراف: ١٢٨.
(٣) سورة الأعراف: ١٢٩.
(٤) الكشاف ، الزمخشري، ١٤٤/٢ .
(٥) سورة الإسراء: ٩.
(٦) سورة الشورى: ٢٣.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

وكما أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بتبشير الناس، فقال –صلى الله عليه وسلم–: (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)[3]، عن أم العلاء قالت عادنى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأنا مريضة فقال « أبشرى يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة »[4]، عن بريدة عن النبى ––صلى الله عليه وسلم–– قال «بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[5]، وعن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "بشر هذه الأمة بالسناء، والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب"[6].

فينبغي للدعاة إلى الله استشعار أهمية البشارة في الدعوة إلى الله لما لها من أثر في نفوس المَدْعُوّين ؛ إذ تطمئنهم من خطر ما يواجهونه من صعاب الحياة، وتفتح باب البشارة بما أعد الله لعباده الصابرين.

(١) سورة فصلت: ٣٠.
(٢) سورة البقرة: ١٥٥.
(٣) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، (١٧٣٢)، ١٣٥٨/٣.
(٤) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب عيادة النساء، (٣٠٩٤)، ١٥٠/٣، قال الألباني: صحيح، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
(٥) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي للصلاة في الظلم، قال الألباني: صحيح، (٥٦١)، ٢٢٠/١.
(٦) مسند الإمام أحمد، (٢١٢٢٢)، ١٤٦/٣٥.

سادسًا: أسلوب التشبيه:

يعد أسلوب التشبيه من الأساليب الدعوية التي ظهر استخدامها في حوارات السحرة مع نبي الله موسى -عليه السلام-، فقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[1]. اجعل لنا طاقة لتحمل ما توعدنا به فرعون، ولما كان ذلك الوعيد مما لا تطيقه النفوس سألوا الله أن يجعل لنفوسهم صبرًا قويًّا، يفوق المتعارف، فشبّه الصبر بالماء تشبيهًا للمعقول بالمحسوس، على طريقة الاستعارة المكنية، وشبه خلقه في نفوسهم بإفراغ الماء من الإناء على طريقة التخييلية، فإن الإفراغ صب جميع ما في الإناء، والمقصود من ذلك الكناية عن قوة الصبر؛ لأن إفراغ الإناء يستلزم أنه لم يبق فيه شيء مما حواه، فاشتملت هذه الجملة على مكنية وتخييلية وكناية.[2]وقال الله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3]، واستعير الوقوع لظهور أمر رفيع القدر، لأن ظهوره كان بتأييد إلهي؛ فشبه بشيء نزل من علو.[4]

وجاء استعمال أسلوب التشبيه في القرآن الكريم وفي السنة النبوية مواضع كثيرة، منها أنّ الله شبه أعين المنافقين عند الخوف ودورانها بحال المحتضر، فقال سبحانه: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾[5]، وتشبيه حال خروج الناس من قبورهم

(١) سورة الأعراف: ١٢٦.
(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، ٥٦/٩.
(٣) سورة الأعراف: ١١٨.
(٤) التحرير والتنوير ، ٥٠/٩.
(٥) سورة الأحزاب: ١٩.

بالفراش المبثوث، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾[1].

كما جاء استعمال أسلوب التشبيه في السنة، فعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا"[2]، وعن سهل بن سعد، رضي الله عنه، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لعلي رضي الله عنه: فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النَّعَم".[3]

أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت.[4]

فينبغي للدعاة إلى الله استعمال أسلوب التشبيه في دعوتهم لتقريب المراد إلى الأذهان.

(١) سورة القارعة: ٤.
(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، (٥٢٨)، ١٤٠/١.
(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (٤٢١٠)، ١٧١/٥.
(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ١٧٨/١٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه.

الخاتمة

الحمد لله حق حمده، وصلاة وسلامًا على من لا نبي بعده، وبعد فهذه أهم نتائج البحث:

١. مجموع الآيات التي ورد ذكر حوارات سحرة فرعون فيها سبع وثلاثون آية.

٢. توجد أقوال كثيرة في تحديد عدد سحرة فرعون، ولا يوجد نص صحيح يعتمد عليه في الجزم بعددهم، لكن يؤخذ من هذه الأقوال أنهم كانوا كثيرين.

٣. يوجد قولان في المصير الدنيوي لهؤلاء السحرة: قول بأنّ فرعون قتلهم وصلبهم كما توعّد، وقول بأن الله نجاهم منه فلم يتمكن من تحقيق هذا الوعيد. والذي يفهم من ظاهر النصوص القرآنية ترجيح القول الثاني.

٤. من الفوائد الدعوية في الحوارات الواردة في قصة سحرة فرعون تمكين أصحاب الشبهات والشهوات من عرضها لمن وثق في القدرة على تفنيدها.

٥. مزية الاستجابة للداعي إلى الله، وفضل السبق إلى الخير والمسارعة إليه.

٦. أن يستحضر الداعية خطورة ترويج أهل الباطل لفسادهم وضلالهم، وأن يكون مستعدًّا لمواجهة هذا الفساد وذلك الضلال.

٧. أهمية مراعاة الداعية لجغرافية الدعوة وأثرها في انتشار الإسلام، وأن يقدر قيمة الأوطان في نفوس المدعوين.

٨. الثبات على الدين والصبر في سبيله، والثبات من أهم عوامل مواصلة الداعية لدعوته ونجاحه فيها.

٩. أهمية الوعظ في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، وهذا يظهر في وعظ موسى للسحرة ووعظ السحرة لفرعون.

١٠. لا يضر المدعوّ النطق بكلمة الكفر أو نحو ذلك إذا كان مكرهًا عليها.
١١. أهمية الوضوح في مجال الدعوة إلى الله تعالى، والبعد من الألفاظ الاحتمالية.
١٢. عدم مواصلة الحوار وقطعه إذا تبين خلاف مقصود المتحاور.
١٣. الكبر والاستعلاء من العقبات التي تصد المدعوين عن قبول دعوة الحق.
١٤. الغالب على الملأ الاستعلاء ومعاداة الدعاة إلى الله والسخرية منهم ومن أتباعهم.
١٥. فضيلة الاستغفار والتوبة من الذنوب، وهذه الفضيلة تظهر في توبة السحر ورجوعهم إلى صف الحق ومناصرته بعد أن كانوا في صف الباطل وأهله.
١٦. أهمية الأخلاق الحميدة في نجاح العمل الدعوي، وأثرها الطيب في استجابة المدعوين.
١٧. خطورة السحر وكثرة أضراره على الفرد والمجتمع.
١٨. أهمية وسيلة الأعطيات والهدايا للمدعوين عند تحقيق إنجاز في مجال نافع.
١٩. أهمية الدعاء واللجوء إلى الله تعالى في تحقيق ثبات الداعية والمدعوين في ميدان مواجهة الباطل وأهله.
٢٠. أهمية استعمال القصص في الدعوة إلى الله تعالى لما لها من قدرة على جذب المدعوين إلى قضايا الدعوة وقوة تأثيرها في نفوسهم.
٢١. أهمية تنويع الأساليب في الدعوة إلى الله تعالى، ومنها أسلوب البشارة، وأسلوب التشبيه.

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وان يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥مـ.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٩٦٤م.
- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الناشر: دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل، بيروت.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨هـ.
- العين، عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ٢٦٢/١، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ،
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ه.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٩٩٩م.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، طبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨ – ١٩٧٨.
- فتح القدير، الشوكاني، دار الكلم طيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المحقق: سيد كسروي حسن، باب طلاق المكره، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ه.